تقدير الذات لدى التلميذ من خلال العلاقة (معلم . تلميذ) منظور وقائي لظاهرة العنف في المدرسة

زيتوني خديجة، جامعة عنابة

ملخص:

إن المعلم مربي لشخصية تلاميذه وكذلك من المتوقع من المعلم أن يقوم بإنماء شخصية التلميذ من جوانب متعددة انفعالية أخلاقية فضلا عن أنمائها من الناحية الأكاديمية والمعرفية. فديناميكية التفاعل معلم – تلميذ تساهم بقدر كبير في نجاح العملية التعليمية.

ويذهب Rogers (2000) إلى أنه على المعلم أن يتحلى بمواقف إيجابية اتجاه تلاميذه مثل: « وتقبل المتعلم، والثقة بقدراته.. وأكثر من ذلك أن يكون المعلم أصلي، معبر بصورة عميقة وحقيقية..». بذلك يفتح المعلم قنوات لفضاء تبادل معرفي وعاطفي يحفز التلميذ للتعلم والاهتمام برغبة أكبر للمعرفة وبلذة أيضا.

إن مختلف المقاربات للهوية الشخصية واضطرابها أظهرت أن العامل والعنصر المشترك لأزمة الهوية يتمفصل حول تقدير الذات هذا المفهوم الذي يرتكز إلى ثلاث مكونات رئيسية :الثقة بالذات رؤية الذات، وح الذات وهي ترتبط فيما بينها وتتفاعل على مدى فترات الحياة، لتحدث توازن مهم للذات.

يأتي كل تلميذ إلى المدرسة محمل بأفكار وتصورات متباينة عن الدراسة والمعلم خاصة وأنه الفاعل المؤسساتي ويرى Gingras (1995) أن التلميذ بحاجة إلى أن يشعر بأنه مرحب به وله مكان بالقسم الدراسي، وما عليه سوى أن يقدم ما يقدر عليه ويحاول التحسن.

أن يتمكن من تحقيق ذاته المدرسية تدريجيا، فأي تلميذ يرى ذاته من خلال رؤية معلمه له وهو بحاجة لهذا التقدير والاعتراف والقبول وأيضا الحب، وكثيرا ما نسمع تلميذ ينوه بدور معلمه في نجاحه أو فشله. فما ذا لو ساءت العلاقة وشعر التلميذ بتهديد لذاته من خلال وجوده المدرسي وعلاقته بمعلمه ؟ وما هي سبل الوقاية الممكنة من خلال العلاقة التربوية؟

الكلمات المفتاحية: العلاقة[معلم ــ تلميذ] ،العنف في المدرسة، المراهقة، تقدير الذات، الذات المدرسية.

1. مقدمة:

لقد بدأ الاهتمام العالمي بظاهرة العنف سواء على مستوى الدول أو الباحثين،على مستوى المؤسسات والمنظمات في الآونة الأخيرة في التزايد،وذلك نتيجة لتطور الوعي النفسي والاجتماعي بأهمية مرحلة الطفولة وأهمية الحفاظ على كرامة وأمن الإنسان عموما. كذلك نتيجة تفاقم أشكال العنف وضحاياه من سنة إلى أخرى، لتمتد إلى مؤسسات كنا نعتبرها بالماضي القريب أوساط ذات مناعة كافية ومحصنة ضد أمراض المجتمع واضطراباته الكثيرة .

إننا نسمع ونعايش هذا العنف الذي يمارس داخل مدارسنا سواء من قبل المعلمين تجاه الطلبة أومن قبل التلاميذ تجاه المعلمين، أو من قبل التلاميذ تجاه بعضهم البعض ؟ أصبحت مدارسنا بل مدارس العالم مسارح لكل صور العنف.

إن العنف هو نقيض للتربية فهو يهدر الكرامة الإنسانية، لأنه يقوم علي تحطيم وإيذاء الآخر معنويا أو ماديا وتصغيره والحط من قيمته الإنسانية التي كرمها الله، وبالتالي يولد إحساسا بعدم الثقة والاحترام وتكوين مفهوم سلبي تجاه الآخر .

-عرض في ما يلي حالتين تعرضوا لأنواع مختلفة من العنف في المدرسة .

التلميذ أحمد:

السن: 17 سنة

المستوى الدراسي: السنة االأولى ثانوي

المستوى المعيشي: متوسط،

مهنة الأب: عامل بسيط

الوالدين مطلقين منذ 8 سنوات، أعادا الزواج

إخوته: بنت وولد يصغرانه

الإخوة من زوجة أبيه: بنتين وولد

خبرة العنف: شتم وإهانات من طرف اثنين من معلميه بسبب نسيان كراس وتأخر صفعة من طرف معلمته، طرد من القسم وتهديدات متكررة بمنعه من الدخول إلى القسم والتسبب في رسوبه والطرد النهائي

تلميذ يحاول الاجتهاد في دراسته، بعد أن جرب الفشل، ولا يريد أن تضيع منه سنوات أخرى.يشعر بآلام في رأسه، وأرق، يشعر بإضطهاد من طرف زوجة أبيه كثيرا ما يتشاجر معها، خاصة مع استغلالها لأخته الصغرى، التي تعاملها بصورة سيئة، وكثرة شكاويها منه لأبيه، وتطلب منه الرحيل. يتمنى عودة أبيه لأمه، حتى بعد هذه السنوات، علاقته مع أبيه جد سطحية، "لا أخذ حتى مصروفي منه، أريد أن أثبت له أنني رجل، وأنني لن أضيع بدونه"،

يعمل ليوفر كل ما يحتاجه، وعندما يذهب لزيارة أمه التي تزوجت في ولاية أخرى، يشعر بأنه غريب، فيؤلمه بكائها، ويتمنى لو يفعل أي شيء يسعدها.

يقول:"أنا لا بيت لي، هذه دار زوجة أبي، والأخرى دار زوج أمي"،

يعاني من قلق ووساوس وأفكار، تجعله لا ينام، توجه لطلب المساعدة، للتخلص من بعض الضغط الذي يعيشه وليستمر في الدراسة.

عن معلمته يقول: تذكرني بزوجة أبي دائما تقابلني بالاستهزاء وتعابير وجهها التي تستفزني ...!!، ويقول أنه تشجع من خلال حضوره جلسات الحوار والمرافقة والأيام التحسيسية للصحة المدرسية، وأنه لم يكن يعلم بمهام الأخصائي النفسي، لهذا انضم للمجموعة ويأمل أن تتحسن علاقته مع معلمته.

التلميذ – رياض:

السن: 15سنة

المستوى الدراسي: السنة الرابعة متوسط، مع تدهور نتائجه خلال الفصول

الأب والأم طبيبين، لديه أختين أصغر منه،

المستوى المعيشي: لا بأس به

خبرة العنف المدرسي:استفزازات متكررة من المعلم، حاول صفعه لكنه منعه، قام بكسر نافذة القسم عندما اتهمته معلمة بالغش ونقل للمستشفى.

تلميذ يتحدث بثقة كبيرة بنفسه، حسبه أنه يعرف عن الحياة أشياء كثيرة، فهو أكبر من سنه كما يرى، ويستصغر زملائه، نظرا لصراحته من البداية، وعدم خوفه، أخبرني بتجربته مع المخدرات، والسبب الذي جعله بعيدا عن أبيه فهو لا يتفق معه منذ طفولته، يعيش في عالمه الخاص... أن تمر سنوات بسرعة وليهرب بعيدا حيث يكون مستقبله في فرنسا، يصمت من حين لآخر، ففكرة السفر تتملكه ولم يعد يفكر في دروسه، "فإن لم يتركوني أرحل، سيضيع مستقبلي"، ويطلب مني أن أقنع والده بالسفر والالتحاق بخاله. يقول لن أسمح لأحد أن يهينني ولو كان بابا ..مبقاتش قراية واش رايح ندير بـــ diplôme مع هذي العقليات !

ووافق على حضور برنامج المرافقة لمشاركة أصدقائه.

2 . العنف المدرسي نتيجة أو رد فعل:

يقضي التلميذ أغلب يومه في المدرسة فهي مكان للحياة وتبادل الكثير من الخبرات بالنسبة له، فذات التلميذ تنضج وتتطور من خلال اكتساب المعارف والتفاعلات اليومية مع معلميه وزملاءه. كثيرا ما يظهر العنف من الطرفين عندما ينتقل الطفل إلى الاكمالية وقد صار مراهقا أو شابا يريد يثبت لذاته وللآخرين أنه كبر، مستقل له أفكاره وطموحاته الخاصة فلم يعد ذلك التلميذ التابع المطيع الذي يخاف من أن يعبر عن نفسه أحيانا والذي يخضع لسلطة معلمه في كل الأحوال.

المراهق في تعدد شخصيات المعلمين والمواد الدراسية وبذلك تضاعف واجباته وعلاقاته مع الراشدين :علامات، تقييم، ملاحظات ... تكون أفعاله مرتبطة ومحصلة بمعنى أو مدلول وجوده في

الوسط المدرسي من خلاله إدراكا ته لوضعيته الجديدة.

يرى رونار (1997) Renard، أنه من الضروري معرفة مرافقة الأطفال الذين يظهرون هشاشة les enfants fragiles خلال مرحلة العبور هاته والمرتبطة ببدايات المراهقة وتحولاتها، فيأخذ المعلم بعين الاعتبار الاضطرابات التي يعايشها التلميذ: القلق والخوف من الدراسة، النفسوجسدية والسلوكية. ومهما تكن المادة المدرسة يجب بناء علاقة ثقة: الإصغاء، الاعتراف هذا ما ذهب إليه روجرس (2000) ,Rogers، على المعلم أن يكون أصلي، معّبر بصورة حقيقية، يتسم بمواقفه الايجابية كتقبل وتقدير المتعلم، الاهتمام بآرائه وشخصيته ..

إنها مجموعة من الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المرّبي والتي تسهل من مهمته: طريقة التعليم الدينامية، التفاعل وإيقاظ الفضول الفكري لدى تلامذته، تحسيسهم بايجابياتهم ودفعهم إلى بذل مجهود أكبر بناء علاقة ودية إيجابية تتطور من خلال الانفتاح والمشاركة، لتزيد من دافعيتهم للنجاح وتحقيق وجود أحسن بالمدرسة ومفهوم ذات مدرسية ايجابي لديهم.

من بين أهم العناصر التي يجب أن يرتبط بها ا المعلم (كامبل2000 ,Campell)، كما تحدد خلال عمله:

– ذاته التي تنطوي على شعوره بالتكامل والاستقلالية والتميز في العلاقات مع الآخرين.

– الطلاب كأفراد ووكجماعات يمثلون مركز اهتمام الأولي ومحل المسؤولية الأساسية

إن على المعلم قبول حقيقته كونه نموذجا أخلاقيا، معرفيا ونفسيا يحتذى به على مدار الساعة ويوميا وأنا النجاح في ذلك ليس سهلا ولا يمكن أن يتم عفويا دون أي ضوابط، الثقة والاحترام المتبادل قاعدة أساسية في التعامل والحوار يجعل من الوضعية التعليمية مريحة ومقبولة. في حين نجد أن تقدير الذات عامل قوي يحمي الأنا ويساعد التلميذ في الوقاية من الفشل ومواجهة كل المواقف أو الوضعيات بايجابية، التلميذ الذي يأتي إلى المدرسة دون خوف أو مشاعر سلبية اتجاه معلميه، فهو يشعر بذلك القبول والآمان االذي يتوفر في المدرسة وخاصة في القسم الدراسي، الذي يكون بينه ومعلميه من جهة ومع زملاءه من جهة أخرى أنه مقدّر مؤمّن فيسعى إلى الاهتمام بعمله الدراسي. أن يكون للتلميذ مكان يحقق له الإنتماء وبعض من الرضا لا مكان مفروض عليه !

1.2. حذار لا تضغط على الزر ..!!

تحدث رولاند (2000) , Rolland، أن من العوامل الأساسية التي تؤثر في العلاقة التعليمية ما يتعلق بالمعلم نفسه في صبره واحترامه لتلامذته. إننا في عصر المعلوماتية يجب أن يعي المعلم أنه في مواجهة جيل يختلف عن الأجيال السابقة له سمات شخصية ما يميز المراهق بالهشاشة النرجسية وحب

اثبات الذات لهذا من السهل جدا استفزازه ومن السهل أكثر أن يمر إلى الفعل ليحافظ على صورته أمام ز ملاءه فكما نجده يبذل جهد كبير ليمتثل للقوانين المدرسية إلا أنه لا يدوم ذلك طويلا فمن الصعب كبح جماحه إذا حدث وإن ضغطت على الزر الخطأ أو زر الخطر ..إنه يمثل كل ما يخص تقييمه لذاته ونظرة الآخرين وأحكامهم وحفاظه على أمنه النفسي ثم الجسدي .

الكثير من المعلمين يرون أن في سلوكات التلميذ العدوانية تحدي لسلطتهم في القسم ولا يجب تركها تمر إلا بعقوبة أو مواجهة، لتتراكم يوما بعد يوم مشكّلة سلوكا عدوانيا فعليا، في حين بالنسبة للمراهق فالمرجعية المهمة بالنسبة إليه ليس المعلم ... بل أي سلوك يسيء إلى تقديره لذاته، إنه يحاول أن يحمي نفسه من كل ما يعتبره إهانة، حقرة، إستهزاء سخرية ولو في أبسط سلوكات المعلم: إيماءة أو إشارة. حيث أن في ذلك تشويه لهوية التلميذ المدرسية واستثمار سلبي لقدراته في المدرسة فتصبح علاقاته مفقودة مع المعلمين أو متوترة ونظرات زملاءه السلبية! ليتولد لديه الشعور بالدونية وضعف الانتماء والسعي إلى تعويض هذا النقص بسلوكات العدوان لاعادة تأمين ذاته وبذلك لا يقتصر السلوك العدواني على التلاميذ االغير نجباء فكثيرا ما يفاجئنا تلاميذ يتصفون بالاجتهاد والانضباط بأعنف السلوكات في المدرسة.

3 . صيرورة جلسة الحوار مع المعلمين وأهم ما توصلنا إليه :

لمعرفة أهم أفكار وأراء بعض المعلمين عن ظاهرة العف المدرسي، متعاونون معنا ونتواصل معهم طيلة السنة الدراسية من مؤسسات تربوية بولاية عنابة بحيث تمثل في 11 معلم ومعلمة, وتم شرح فكرة وطريقة العمل رفقتهم وخاصة بعض المفاهيم المرتبطة بموضوع العنف المدرسي، وبحيث استعملنا وسيلة بسيطة تتمثل في وباستعمال مجموعات الحوار interview Focus group. حيث (يعتبر Focus group مجموعة نقاش، مقابلة وحوار مع مجموعة محدودة من الأشخاص التي تسمح الحصول على معطيات غنية حول آراء، اعتقادات وتمثلات حول مواقف مجموعة معينة نحو موضوع معين وتسمح لنا بفهم تصرفاتهم. مقتبس من: "Education à ta santé" d'avril 1993).

أطلع المشاركين على موضوع الحوار **الوقاية من العنف المدرسي**

وتوضيح أهم المفاهيم، وجاءت الأسئلة بالتتابع .

(أ) في رأيك ما هي أهم أسباب العنف المدرسي؟

(ب) هل حدث وأن تعرضت للعنف من تلامذتك؟

(ج) هل حدث وأن مارست العنف على تلامذتك ؟

(د) ماذا بإمكانك فعله أو تغييره لبناء علاقة أحسن مع تلامذتك ؟

وتم طرح هذه الأسئلة على مراحل:

يقوم نائب عن المجموعة بعد الإجابة عن كل سؤال لقراءة لأهم الأفكار وآخر لكتابتها، لتكون المعطيات على شكل عناصر.

أجمع كل المشاركين بعد النقاش حول إجابة السؤال الأول الخاص **بأهم أسباب العنف المدرسي:**

بدرجة أولى جاءت المدرسة، وأهمها طبيعة البرامج وطرق التعليم الغير مكيف مع تطلعات وقدرات التلاميذ. مما يشكل عدم الارتياح وضغط كبير خاصة التوقيت مما يجعل مهمة المعلم صعبة. ومن الجهة العلائقية فنجد نقص الحوار وصعوبة تكيف التلاميذ مع المعلم ومجموعة القسم، إضافة إلى ما هو عائلي بسلبية الأولياء ونقص مساعدتهم أما عن جهل أو تخلي عن مسؤولية مرافقة أبناءهم، وارجعوا إلى التلاميذ نقص الدافعية، مشاكل النمو والاضطرابات النفسية والعقلية، مع التأثر السلبي بالرفقاء.

السؤال الثاني والثالث الخاصين **بالعنف من وعلى المعلم**

بوقوفنا على أنواع العنف المعنوية والمادية، صرحوا بالمعايشة اليومية للعنف المعنوي من طرف بعض من تلامذتهم ويحاولون ضبط أنفسهم حتى لا تتفاقم الأوضاع، رأى كل المعلمين أنهم كلهم مارسوا العنف المعنوي وحتى عن غير قصد فجاء على شكل نصائح أو تعابير جسدية لكنها تسببت في إستفزاز التلميذ على عكس ما كانوا ينتظرون وأحيانا ردود أفعال لسلوكيات التلاميذ، ليدافع المعلم عن هيبته في القسم وتحت ضغط ظروف الحياة وأحداثها، إعترف المعلمين أنه أحيانا تسيطر عليهم مشاعر وأفكار سلبية تجعلهم يتصرفون بآلية تحت نمط سلوكات عدوانية ومشاهد تفرضها الوضعية المعاشة.

أما فيما يخص أهمية العلاقة بين المعلم وتلاميذه:

صرح الجميع أن العلاقة في تدهور من سنة لأخرى وأصبحت مصدر تهديد وتوتر أغلب الأوقات اختصرت في نقل وتوصيل معلومات وتلقي علامات، أيضا كثرة المشاكل في القسم الدراسي وفقدان عاملي الثقة والاحترام مع فقدان المعلم لهويته التقليدية كمربي له مقام وأدوار متنوعة.وإنهم يفتقدون إلى متعة التدريس

جاءت **اقتراحاتهم للتغيير في إجاباتهم عن السؤال الرابع:**

على الجانب الشخصي الفردي للمعلم: ضرورة التكوين، طلب الإرشاد النفسي والمساعدة النفسية حتى يتمكن المعلم من أداء مهامه وتطوير قدراته.

على الجانب العلائقي: التقرب أكثر من التلاميذ ومحاورتهم، وتفهمهم مع محاولة تقديم المساعدة والتوجيه.ووتفعيل مشاركة الأولياء

خاتمة:

تعتبر المدرسة إحدى وسائط التنشئة الاجتماعية والتي أوكل إليها المجتمع مسؤولية تحويل أهدافه وفق فلسفة تربوية متفق عليها إلي عادات سلوكية تؤمن النمو المتكامل والسليم للتلاميذ إلي جانب عمليات التكيف والإعداد للمستقبل، ومن خلال المدرسة يتشكل أيضا وعي الإنسان الاجتماعي والسياسي، بل وأكثر من ذلك يتشكل من خلال التعليم أبرز ملامح وبنيات المجتمع..كما تسعى المدرسة جاهدة لتحقيق ذلك من خلال وسائل تربوية قائمة على أسس معرفية ونفسية. وذلك من خلال التعاطي الإيجابي مع الظاهرة من طرف كافة المتدخلين إدارة ومربين وهيئات المجتمع وأولياء أمور، مع ضرورة إعادة النظر في سياسة التعليم، وتطوير برامج التوجيه والإرشاد، وإعمال المرونة اللازمة في مواجهة الظاهرة، وإكساب التلميذ المهارات الاجتماعية السليمة من خلال نشر ثقافة الحوار والانفتاح والصبر.. الخ.

- إجراء العديد اللقاءات مع أولياء الأمور في أساليب التنشئة الاجتماعية المناسبة لكل مرحلة عمرية باعتبار أن الأسرة هي المصدر الأساسي في تأسيس سلوك العنف لدى وحول حقوق الطفل في الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية وحقة في اللعب والمشاركة والتعبير عن الرأي ,وحقه في الشعور بالأمن النفسي والاجتماعي
- برمجة العديد واللقاءات مع المعلمين والإدارات المدرسية حول الخصائص النمائية لكل مرحلة عمرية والمشكلات النفسية والاجتماعية المترتبة عليها وخصوصا مرحلة المراهقة وكيفية التعامل مع هذه المشكلات وخصوصا سلوك العنف.
- تفعيل برنامج الوساطة الطلابية باعتباره وسيلة تربوية في إشراك الطلبة في حل مشكلاتهم دون إحساسهم بضغوط الكبار
- السعي إلى تخطيط مشروع ديناميكي تربوي يشترك فيه كل الفاعلين في حياة التلميذ المدرسية خاصة وحياته عموما.

من المهم أن يستعيد المعلم تلك الشرارة والرغبة في التدريس أن يكون مربي يحافظ على أدواره التقليدية مع محاولة تطوير نفسه حسب متطلبات التعليم الحديثة، لا أن يسعى أو يكون همه الوحيد هو فرض السلطة في قسمه وعلى تلامذته. ويضيف كاين (cahen, (1996، يجب على التعليم أن يخرج من

أزمته الحالية ويخلق بنى جديدة ودالة لمعايير التقييم والعلاقات بحيث يرى التلميذ كشخص وكوجود له الحق في أن يكون ذاته .

وفي إطار إنساني يجب أن لا نتحاشى أن نفتح الحوار حول معايير المدرسة تحت ضوء أزمة تحول إجتماعية أن لا نخاف من ضبط إرادة جماعية ديمقراطية ومتحضرة تتمحور حول تربية المربين، إنها قضية مجتمع ككل، مجتمع يشعر أنه مسئول عن مستقبله ولا يمكن أن يظل راكد مع كل هذه التحولات الطارئة ! أن نسمح لهذا الشاب أن يكبر ويتعلم ضمن أبسط المعايير الإنسانية.

يبقى أن نتساءل: ماذا نريد وما هي حقيقة التطبيقات التربوية! ؟؟

المراجع:

1- Cahen c, thérapie de l'échec scolaire, série formation , nathan pédagogie France 1996 p54.
2- Campell, E. (2000): " Professional Ethics in Teaching: Towards the Development of A code of Practice "Cambridge Journal of Education , Vol. 30.p119
3- Renard L, (1997): Le passage de l'adolescence: données anthropologique et psychopathologiques , PRISME, Ecole et santé mentale Vol 7, n°2, p319.
4- Rogers c, (2000): perspectives .revue trimestrielle d'éducation comparée ; vol 1017, n° 3, 4. P 492.
5- Rolland v, (2000): Des conditions à respecter pour susciter la motivation des élèves. Correspondance Vol 05 N° 03, p 23 .
6- Tarpinian A, et autres (2007): école changer de cap contribution à une éducation humaniste. chronique sociale , Lyon. P70.